بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نَظَرَاتٌ فِي التَّخْطِيطِ

الحَمْدُ للهِ الكَرِيمِ الوَهَّابِ، الرَّازِقِ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَعْطَى وَأَنْعَمَ، وَتَفَضَّلَ وَأَكْرَمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَعْدِنُ الكَرَمِ وَهَادِي الأُمَمِ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ، ذَوِي الفَضْلِ الرَّفِيعِ وَالمَقَامِ الأَتَمِّ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ؛ فَمَنِ اتَّقَى ارْتَقَى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾(١).

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ الإِسْلامَ دِينُ اللهِ الكَامِلُ؛ فَلا تَجِدُ شَيْئًا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ حَيَاةُ الإِنْسَانِ فِي مَيَادِينِ هَذِهِ الحَيَاةِ إِلاَّ وَتَجِدُ لِلإِسْلامِ كَلِمَتَهُ فِيهِ، وَلا عَجَبَ؛ فَإِنَّ الإِسْلامَ جَاءَ بِمَا يَكْفُلُ لِلنَّاسِ الحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ، وَيُحَقِّقُ لَهُمُ السَّعَادَةَ، وَيُبْعِدُ عَنْهُمُ الشَّقَاءَ، وَإِنَّ كُلَّ الكَلِمَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُقَالَ فِي هَذَا المَعْنَى اختَصَرَهَا اختِصَارًا قَوْلُ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾(٢)، وَمَا أَسْهَلَ سُلُوكَ ذَلِكَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَصِلُ بِالإِنْسَانِ إِلَى الحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَالجَزَاءِ الأَحْسَنِ! وَمَا أَبْيَنَ تِلْكَ الآيَةَ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى ذلِكَ الطَّرِيقِ!

فَاسْمَعُوا – عِبَادَ اللهِ – تِلْكَ الآيَةَ سَمْعَ مَنْ يَعْقِلُ، وَتَنَبَّهُوا لَهَا تَنَبُّهَ مَنْ يَتَدَبَّرُ، وَأَلْقُوا لَهَا أَسْمَاعَكُمْ إِلْقَاءَ مَنْ يُلْقِي السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ يَقُولُ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٣)، فَالسَّعَادَةُ الَّتِي تَبْحَثُ عَنْهَا البَشَرِيَّةُ، وَالرُّقِيُّ الَّذِي يَجْرِي وَرَاءَهُ النَّاسُ، وَالحِكْمَةُ الَّتِي يَبْحَثُ عَنْهَا الحُكَمَاءُ، وَأَخَذُوا يَشْرَحُونَهَا بِطُرُقٍ يَعْسُرُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ فَهْمُهَا، جَاءَ بِهَا القُرآنُ فِي صُورَةِ التَّمَامِ الَّتِي لا تُمَاثِلُهَا صُورَةٌ، وَلَيْسَ قَبْلَهَا وَلا بَعْدَهَا مَا يَصِلُ إِلَى حِمَاهَا فَضْلًا عَنِ

(١) سورة الطلاق/ ٥.
(٢) سورة طه/ ٢.
(٣) سورة النحل/ ٩٧.

الوُصُولِ إِلَيْهَا؛ لِيَتَحَقَّقَ قَوْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[1]، وَكَانَ قَوْلُ اللهِ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[2]، قَدَرًا مَقْدُورًا إِلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

وَمَا كَانَ أَسْرَعَ استِيعَابَ أُوْلَئِكَ الأُمِّيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِشُمُولِ الإِسْلامِ وَسَعَتِهِ، وَرِسَالَتِهِ وَمَقَاصِدِهِ، حَتَّى كَانُوا أَحْكَمَ مِنَ الحُكَمَاءِ، وَأَبْيَنَ فِي بَيَانِ تِلْكَ المَقَاصِدِ مِنَ البُلَغَاءِ؛ فَتَجِدُ أَحَدَهُمْ يَشْرَحُ رِسَالَةَ الإِسْلامِ وَمَقَاصِدَهُ السَّامِيَةَ فِي كَلِمَاتٍ جَامِعَةٍ؛ فَكَيْفَ أَنَّ القُرْآنَ الكَرِيمَ انتَقَلَ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي سَنَوَاتٍ مَعْدُودَةٍ انتِقَالاً قَدْ تَعْجِزُ الأُمَمُ عَنِ الوُصُولِ إِلَيْهِ فِي عُقُودٍ! يَقُولُ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ شَارِحًا تِلْكَ الرِّسَالَةَ السَّامِيَةَ: "اللهُ ابتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلامِ".

عِبَادَ اللهِ:

نَسْتَلْهِمُ مِنْ وَحْيِ حَادِثَةِ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلامِ وَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هِجْرَتِهِ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ التَّخْطِيطِ؛ لِلْوُصُولِ إِلَى نَتِيجَةٍ مَضْمُونَةِ النَّجَاحِ بِإِذْنِ اللهِ، فِي حَادِثَةٍ قَدْ تَكُونُ أَخْطَرَ حَادِثَةٍ فِي تَارِيخِ الإِسْلامِ، وَهِيَ حَادِثَةُ الهِجْرَةِ الشَّرِيفَةِ، فَقَدْ أَعَدَّ النَّبِيُّ ﷺ العُدَّةَ مِنْ صَاحِبٍ وَرَاحِلَةٍ وَدَلِيلٍ، وَنَاقِلٍ لِلأَخْبَارِ وَنَاقِلٍ لِلطَّعَامِ وَمَاحٍ لِلآثَارِ وَمَكَانٍ لِلاسْتِتَارِ عَنِ الأَعْيُنِ وَرَصْدِ الرَّاصِدِينَ، وَسُلُوكِ طَرِيقٍ غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا النَّاسُ فِي العَادَةِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ أَصْحَابَهُ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ مُهَاجِرِينَ، وَقَبْلَ ذَلِكَ التَقَى بِأَهْلِ المَدِينَةِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ وَيُعِدُّهُمْ لِلانتِقَالِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ آخَرَ، يَكُونُ فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ شَأْنٌ غَيْرُ الشَّأْنِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، وَصَدَقَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ

(١) سورة المائدة/ ٤٨.
(٢) سورة الأنعام/ ٣٨.
(٣) سورة الجمعة/ ٢.

الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

****

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ- وَانْظُرُوا إِلَى القُرْآنِ الكَرِيمِ وَهُوَ يَذْكُرُ خَبَرَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِلمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَهُمْ قِلَّةٌ قَلِيلَةٌ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ، فَيُخْبِرُهُمْ عَنْ تَخْطِيطِ نَبِيِّ اللهِ يُوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَإِدَارَتِهِ لِسَنَوَاتِ الزَّرْعِ وَالخَيْرِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ سَلامَةً لَهُمْ فِي سَنَوَاتِ المَحْلِ وَالشِّدَّةِ؛ فَيَقُولُ مَا أَخْبَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[1]، فَمَا كَانَ ذَلِكَ إِلاَّ دَرْسًا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَتْبَاعِهِ فِي التَّخْطِيطِ، وَإِشَارَةً إِلَى أَنَّ نَجَاحَ الأُمُورِ يَبْدَأُ مِنْ حُسْنِ التَّخْطِيطِ لَهَا بِإِذْنِ اللهِ، وَتِلْكَ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللهِ فِي الوُجُودِ ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[2].

بَلْ إِنَّ الإِسْلامَ - أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ- يَذْهَبُ إِلَى مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَيَنْدُبُ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى التَّخْطِيطِ لِلْجِيلِ الَّذِي بَعْدَهُمْ، أَوْ لِمَنْ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ أَوْلادِهِمْ؛ فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَتَهُ المَشْهُورَةَ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ حَاضِرَةً فِي قَلْبِ كُلِّ إِنْسَانٍ: ((لَأَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ فُقَرَاءَ يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ))، إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَبُّهُ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

هذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[4].

(١) سورة يوسف/ ٤٧-٤٩.
(٢) سورة الأحزاب/ ٦٢.
(٣) سورة التوبة/ ١٢٨.
(٤) سورة الأحزاب/ ٥٦.

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.